الأصل في اللغة
دراسة أنطولوجية في قصيدة تراكل "أمسية شتوية"

أ.د. صفاء عبد السلام علي جعفر
أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

المقدمة

نحن أبناء هذا العصر قد نشعر بصعوبة في أن تكون لدينا تجربة أصلية مع اللغة "حتى إذا كانت هذه التجربة تفاجئنا، وتلفت انتباهنا إلى حقيقة علاقتنا باللغة؛ ذلك أن الغوص في تجربة مع اللغة – وهو هدف هايدجر من محاضرة "اللغة" موضوع هذا البحث – يختلف عن مجرد إحصاء معارف ومعلومات عنها، وهو الأمر الذي تضطلع به العلوم المتنوعة التي تتناول اللغة ومنها علم اللغة، وعلم فقه اللغة، وعلم النفس، وفلسفة اللغة، وما بعد اللغة.

وعلى الرغم من أهمية هذه العلوم، فإن محاولة الوصول إلى "تجربة مع اللغة" أمر جد عسير، وعلينا أن نتساءل مع هايدجر عن الطريق الذي يمهد لنا الوصول إلى تلك التجربة(١)، من خلال البحث في "**الأصل في اللغة**" أو ماهيتها الأساسية من وجهة نظر أنطولوجية.

إن إنسان هذا العصر يحيا حياة "**الإطار**" *Gestell* أو الشكل "دون المحتوى" التي تخلو حقاً من معنى السكن والإلف، والكشف عن هذا المعنى هو أحد أهداف هذا البحث(٢).

أكد هايدجر دوماً أن تاريخ الميتافيزيقا التقليدية هو تاريخ نسيان الوجود، و هايدجر يحاول أن يذكرنا بغياب الوجود عنا، وهو يهدف من ذلك إلى "التحول" نحو الوجود، وهو ما لا يمكن التنبؤ بموعد حدوثه(٣).

إن محاضرة "اللغة" عند هايدجر هي دراسة في أصل اللغة لا في استخدامها ووظائفها: إنها دراسة في ماهيتها التي يكون بها الموجود، وليست مجرد وسيلة أو أداة؛ فهي اللغة التي تمنح، وتعطي، وتحرر، وتنير، وهي في ذلك ليست قوة متعالية كما جاء في الفهم الميتافيزيقي التقليدي(٤).

ويعني ذلك أن "التفكير في الوجود" عند هايدجر لا يوجد إلا حيث توجد لغة الوجود التي ينصت إليها الإنسان(٥). إن ماهية اللغة هي القول(*)، والقول في اشتقاقه الأصلي من

---

(1) Kockelmans, J. J.: "On The Truth of Being-Reflections On Heidegger's Later Philosophy", Indiana Uni-Press, Bloomington, U.S.A., 1984, P. 159-160.

(2) Heidegger, M.: "Poetry – Language – Thought, trans by A. Hofstadter, Harper & Row Publishers, New York, U.S.A, 1975, P. XIII.

(٣) "نداء الحقيقة" – ترجمة ودراسة وتقديم عبد الغفار مكاوي، سلسلة النصوص الفلسفية (٩) دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ص: ٢١٠.

(٤) المرجع نفسه.

(5) Kockelmans, J.J.; "On the Truth…", P. 158.

(*) حاول هايدجر أن يرجع بالقول Sagen إلى كلمة Sage و Saga، وهي الحكاية الخرافية المأثورة – دون أساس تاريخي – عن خوارق الأبطال في آداب الشعوب الشمالية.
(قارن: عبد الغفار مكاوي: نداء الحقيقة، ص: ٢١٥).

اللغات الهندو–أوروبية يعني "الإشارة" و"الدلالة"، و"الإظهار"، والإظهار مرتبط بإنارة الوجود التي تحرر، وتعطي، وتمنع، وتخفي، وهي تظهر "العالم" في العمل الفني مثلاً الذي يظهر حقيقة الجود أو يحجبها.

إن اللغة هي القرب الكامن في قوى العالم الأربع: الأرض – السماء – الفانون – الخالدون، وهي "التجميع الأصلي" في تفسير هايدجر لكلمة "اللوجوس" عند هيرقليطس، وهي لذلك ساكنة وبلا صوت، لأنها هي التي تنعم على الإنسان بفعل "يوجد"، بحيث تكون لغة "السكينة" هي لغة الماهية كما سيأتي بيانه. واللغة "تعبر"، وهي بذلك "تدل"، و"تشير"، وتصل إلى كل جهات الوجود: فتظهر الموجودات أو تحجبها، والإظهار "حدث يدركه الإنسان "بالإنصات إلى حديث اللغة"، وحديث اللغة هو "الحدث" الذي يمنح الإنارة والانفتاح للموجود، ويعطيه كلمة "يوجد" ويرد الموجود إلى أصله.

أما عن "النطق" فهو في حقيقته تطابق مع قول اللغة وحديثها؛ "فاللغة تستخدم الإنسان لكي ينطق عما تقوله اللغة الساكنة" على حد تعبير هايدجر(١).

* * * * *

أولى "هايدجر" الشعر – بوصفه ماهية اللغة الحقيقة – عناية خاصة، واستشهد في ذلك بعبارة فريدريش هيلدرلين *Hölderlin* (١٧٧٠–١٨٤٣م) الشاعر الألماني الحديث: إن أحب الأحباب – أي الشاعر والمفكر – يسكنون على جبلين منفصلين وإن كانا متجاورين"(٢).

وجدير بالذكر أن الشعر عند "هيلدرلين" – الذي حظى باهتمام كبير لدى هايدجر – هو أكثر المشاغل براءة وخطراً، لأنه شكل من أشكال اللعب أو خلق الصور والأخيلة بحرية من "مادة" اللغة، واللغة "أخطر" ما أعطى للإنسان لأنها تجمع البشر في "أساس" وجودهم وتشعرهم بالسكينة، وتنأى بهم عن ضجيج وثرثرة الحياة اليومية الزائفة.

إن الوجود الإنساني في صميمه "وجود شعري" Poetical – Dichterisch لأن الإنسان كما يقول هيلدرلين يسكن على الأرض سكناً شعرياً(٣).

أما عن غاية الفلسفة والشعر الأخيرة فهي العودة إلى "الأصل" أو "للوجود الذي يظهر كل موجود" لكي يتحد بالكل، فيسود التجانس(٤) والسكينة.

---

(١) عبد الغفار مكاوي: "نداء الحقيقة"، ص: ٢١٨–٢١٩.

(٢) عبد الغفار مكاوي: "شعر وفكر – دراسات في الأدب والفلسفة"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ص:٦٢.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٥٠–٥٣؟

(٤) المرجع نفسه، ص: ٥٤.

واللغة بوجه عام، ولغة الشعر بصفة خاصة ليست مجرد أداة للتفاهم؛ وإنما هي التي تكفل للإنسان إمكانية أن يظل منفتحًا على لوجود، وأن يصبح موجودًا تاريخيًا؛ فاللغة هي "الحدث" الذي يتحكم في أعلى إمكانات الإنسان، وماهيتها لا تُفهم إلا بالرجوع إلى ماهية الشعر نفسه، لأنه اللغة الأولى التي تؤسس الوجود بالكلمة[١].

يتضح مما سبق أن الشعر عند هايدجر "تأسيس" بالكلمة وفي الكلمة؛ فهو يدعم صلة الإنسان بالوجود بحيث يصبح "الشعراء" هم الذين يكشفون عن حقيقة الوجود، لأنهم وحدهم الذين يؤسسون ما هو باق، والباقي هو الوجود نفسه الذي يتجلى في نوره كل موجود، ويتم ذلك عن طريق القول الحقيقي الذي "يسمى" رباع العالم الفريد كما سيأتي بيانه، وبهذه التسمية يؤسسها في الوجود، ويضعها في نوره، وهذا القول الجوهري هو الشعر، والشاعر ينطق بواسطته عن حقيقة الوجود[٢].

* * * * *

يقع هذا البحث تحت عنوان "الأصل في اللغة – دراسة أنطولوجية في قصيدة تراكل أمسية شعرية"، وجئورج تراكل (Trakl. G. ١٨٨٧م – ١٩١٤م) هو شاعر نمساوي تعبيري expressionist، تأثر في مرحلة مبكرة من تكوينه ببودلير، والرومانتيكيين الجدد، وريمبو، وتناول شعره موضوعات عدة مثل الليل، والغروب، والحزن، والإثم، والمعاناة، والموت، والتطلع إلى الجمال. أما عن أسلوبه فيبتعد عن الاتجاه الشخصي، تعبيراً عن الحزن والاكتئاب العميق[٣].

والتعبيرية في شعر "تراكل" تظهر في إبداعه تكوينات من الصور المجازية، وكل صورة لها مذاق انفعالي خاص، وترتبط مع سائر الصور المجازية في القصيدة، مع ذلك فالقصيدة عنده لا تتكون من سلسلة متسقة من المفاهيم والأفكار بقدر ما هي سيل متدفق من الصور غير المتسقة؛ إن شعر "تراكل" ليس نسقاً من الأفكار، وإنما مجموعة من الصور والاستعارات المجازية المتدفقة التي تمثل حلماً غير متسق الأجزاء.

وعلى الرغم من ذلك فكل قصيدة عند "تراكل" متسقة من حيث التكوين الموسيقي، ومن حيث كونها تركيباً من الصفات الاستيطيقية المنفصلة تماماً عن الأفكار المنطقية[٤].

---

(١) المرجع نفسه، ص: ٥١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٢.

(3) Enzyklopadie: Weltliterature im 20 Johrhundert, herausgeg. Von Prauneck., Rowohlt, Germany, Vol. 4, Juni, 1981, "Trakl, G.".

(4) Sokel, W.: "The Writer in Extremes in 20th Century German Literature, Stanford Uni, Press, California, U.S.A., 1968, P. 49-50.

ويمكن القول بأن الصورة المجازية عند "تراكل" تشبه بقعة اللون في اللوحة التعبيرية؛ فتلك البقعة لا تصف الشيء المراد التعبير عنه، وإنما تشخص حالة انفعالية معينة يريد الرسام أن يطلعنا عليها.

ومن ناحية أخرى، فإن "تراكل" يقوم في مذهبه التعبيري بتجريد كل ما هو غير أساسي بما في ذلك الضمير الشخصي "أنا" من وجوده، ويعبر عن الماهية المتبقية بالمجاز؛ فهو يجرد شخصيته الواقعية، أو الأنا التجريبية من مواقفها الأساسية، أو من شعورها كي تحول المضمون الذاتي إلى موضوع دون أن تخسر ما فيه من ذاتية؛ وإنما على العكس تعمقه وتقوم بتوضيحه(١).

تلك نبذة مختصرة عن "تراكل" ومذهبه التعبيري في الشعر، ولقد وقع اختيار هايدجر على قصيدته "أمسية شتوية" لتكون محور محاضرته عن "اللغة" التي ألقاها في عام ١٩٥٠م، وهي المحاضرة التي يقوم عليها هذا البحث متضمنًا تفسير هايدجر الأنطولوجي للقصيدة سالفة الذكر.

وأما عن هدف البحث فهو محاولة الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التالية:

س١: كيف أحدث هايدجر ثورة كوبرنيقية في تفسيره للأصل الأنطولوجي للغة؟

س٢: ما معنى الدخول في تجربة مع اللغة عند هايدجر؟

س٣: كيف تتحدث اللغة في قصيدة تراكل من وجهة نظر هايدجر؟

وأما عن "منهج البحث" فلقد آثرنا المنهج التحليلي التركيبي النقدي لتحليل محاضرة "اللغة"، وقصيدة تراكل من وجهة نظر أنطولوجية، بهدف الوصول إلى "بناء تركيبي" يفسر لنا موقف هايدجر من اللغة في خاتمة هذا البحث، كما استخدمنا المنهج التاريخي أحياناً لتتبع العلاقة بين اللغة والوجود في مؤلفات هايدجر العديدة بشكل موجز تمهيدًا للبحث في أصل اللغة عنده.

وأما عن محتويات البحث، فهي كما يلي: مدخل يتناول السؤال عن العلاقة بين اللغة والوجود عند هايدجر، ثم المفهوم الفلسفي لمحاضرة اللغة في مؤلفات هايدجر المتطورة، ويتضح هذا المفهوم من خلال الموضوعات التالية على التوالي:

---

(1) Sokel, W.: "The Writer … ", P. 50.

أولاً: الإنسان بوصفه إنساناً موجود يتحدث.

ثانياً: ماهية اللغة هي لغة الماهية.

ثالثاً: ماهية اللغة هي لغة الماهية.

رابعاً: علاقة القرب بين الشعر والتفكير.

خامساً: التفسير الأنطولوجي لقصيدة تراكل. وفيه تتناول البنية الفنية للقصيدة، ومعنى "التسمية" في القصيدة من وجهة نظر هايدجر، ثم تفسيره الأنطولوجي لرباع العالم الفريد كما جاء في القصيدة. ثم تأتي خاتمة البحث وفيها محاولة للإجابة عن لأسئلة الثلاثة التي وردت في المقدمة، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع، وثبت بأهم المصطلحات الواردة في البحث.

والله الموفق...،،،

مدخل
(السؤال عن العلاقة بين اللغة والوجود عند هايدجر)

السؤال عن العلاقة بين اللغة والوجود هو أحد الموضوعات الهامة التي شغلت هايدجر منذ بداية تفكيره الفلسفي: فقبل أن يكمل أطروحته للدكتوراه كتبت في دراسة له عن المنطق أنه يرغب في أن يكتشف العلاقة الضرورية بين اللغة والمنطق حتى يمكن أن نعتبر أن الموجود موجود بالفعل أو موجود حقيقي.

وظهر اهتمام هايدجر باللغة واضحاً[1] في أطروحته للدكتوراه وهي بعنوان: "نظرية الحكم في النزعة النفسية في المنطق"(*) عام ١٩١٤م ورسالته المؤهلة للتدريس بالجامعة عن "نظرية المقولات والمعنى عند دنس سكوتس ١٩١٦م، وفيها ذهب إلى أن "المقولة" تشير إلى وجود الموجودات، و"المعنى" يفترض العلاقة بين الوجود واللغة التي تعبر عنه.

وعلى الرغم من أن هايدجر في عام ١٩٧٢م كان له رأي سلبي عن قيمة هذه الأبحاث، فإن طريقه من المنطق إلى الأنطولوجيا كان ضروريًا للفهم الصحيح لفكره المتطور؛ فلقد أكد هايدجر نفسه أن اهتمامه بمشكلة المقولات بمثابة إرهاص لمفهومه المتطور عن سؤال الوجود، كما أكد أن بحثه عن المعنى والدلالة في العصور الوسطى قد أدى به إلى السؤال عن اللغة[2].

ألقى هايدجر في عام ١٩٢٠م محاضرة بعنوان "فينومينولوجيا الحدس والتعبير"(**) أشار إليه فيما بعد تحت عنوان "التعبير والمظهر"(***)، ومنذ ذلك الحين أصبح السؤال عن العلاقة بين الوجود واللغة "محورياً" في فكر هايدجر[3]. أما في كتابه الرئيس "الوجود والزمان *Sein and Zeit*" ١٩٢٧م، فقد وصف "الآنية" *Dasein* بأنها الذات الحقيقية لكل حديث عن الوجود، وأشار إلى أن الكلام الحقيقي يستقل عن النظام السيمانطيقي المنطقي الخاص باللغة؛ فالموضوع الأساسي في الكتاب يفترض أن كل كلام أو حديث يقوم بصورة نهائية على لغة الوجود، وقد دافع هايدجر من ناحية عن الرأي القائل بأن الكلام "ينتج" المعنى إلى الحد الذي

---

(1) Kockelmans, J. J.: "On the Truth of Being-Reflections On Heidegger's Later Philosophy", Indiana University Press, Blomington, U.S.A., 1984, P. 142.

(*) Die Lehre Vom Urteil im Psychologismus – 1914.
Die Kategorien – and Bedeutungs Lehre des Duns Scotus, 1916.

(2) Ibid., P. 142.

(**) Phenomenology of Intuition and Expression.

(***) Expression and Appearing.

(3) Ibid., P. 143.

نعبر فيه بالكلمات، وبذلك فهو يتكون في اللغة، ومن ناحية أخرى وصف اللغة بأنها "إيضاح" "للوجوس" الآنية، أو هي المعنى الكلي حيث يكون للوجوس وجود عالمي خاص به. وفيما بعد تخلى هايدجر عن فكرة أن "للآنية لغة"، ودافع عن كونها "الجهة" التي تتحدث إليها اللغة؛ فلم تعد اللغة مجرد أداة، وإنما أصبحت تتحدث بنفسها، وأصبح حديث الإنسان مجرد رد فعل لحديث اللغة مما يفترض مسبقاً أن الآنية ينبغي أن "تتصت" إلى لغة الوجود(١).

أشار هايدجر في "الوجود والزمان" إلى أن الكلام *Rede* هو التركيب الأنطولوجي للآنية، وهو الذي يجعل لغة الحديث ممكنة، وإذا كانت كلمة "لوجوس" *Logos*(*) تعني الكلمة، فذلك لأنها تعني أساساً عملية التوضيح أو ترك الشيء ليكون مرئياً.

يتضح مما سبق أن هايدجر يربط بين الوجود وأصل اللغة برباط وثيق: فاللغة ببساطة هي الوجود ذاته في صورة كلمات، ومع ذلك ففي العلاقة بين الوجود واللغة: لغة الآنية، تبقى لغة الوجود في مكان الصدارة؛ إن كلام الإنسان الحقيقي إنما هو استجابة "لصوت الوجود الصامت" كما يرى هايدجر، والنتيجة هي أن اللغة "تبدو" كما لو كانت في متناول الآنية أو أنها من اختراعها، بينما تكتشف الآنية ذاتها فقط من خلال اللغة(٢)؛ ويعني ذلك أن الآنية في حديثها يمكنها أن تصل إلى الحقيقة فقط عندما يتجه إنصاتها وكلامها نحو قول الوجود(٣)(**).

وهايدجر في "فلسفته المتطورة" يضع الكلام الشعري الحقيقي، ولغو الاهتمام اليومي على طرفي نقيض، ويعبر ذلك عن اهتمامه بالتمييز بين الوجود الحقيقي والوجود الزائف، وهو عندما أكد – متأثرًا بالشاعر الألماني هيلدرلين – أن "اللغة بين الوجود"(***) إنما كان يعني أن الكلام يتأثر بالاستخدام اليومي، وأن الوجود ذاته ينكشف عن طريق الآنية المتناهية، وأن الكلام إذا دل على الوجود الحقيقي، فإنه يحمل طبيعة كاشفة للوجود تستضئ بالتصميم الحقيقي(٤).

---

(1) Ibid., P. 147.

(*) في المؤلفات المتطورة أدى اللوجوس دوراً أساسياً، حيث استخدم لتوضيح أن محاولة التفكير في مشكلة الوجود يجب أن تشتمل على التأمل في ماهية اللغة، وأن التأمل في ماهية اللغة هو الطريق الأساسي الذي ينبغي أن نسلكه إلى الوجود (Cp. Kockelmans, J.J: On the Truth….", P. 148).

(2) Ibid, P. 148-149.

(3) Ibid.

(**) The Saying of Being.

(***) Sprache ist das Haus des Seins.

(4) Langan, T.: (The Meaning of Heidegger – A Critical Study of an Existentialist Phenomenology), Routledge & Kegan Paul, London, 1959, P. 49.

وفي "المدخل إلى الميتافيزيقا" سنة ١٩٣٥م وصف هايدجر الوجود بأنه لغة اللوجوس في ضوء الانفتاح، وبوسع الآنية أن تكون ذاتها حقيقة بوصفها أفق الوجود نظراً لأنه لغة أو لوجوس، واستناداً إلى أن "اللوجوس" يمدنا بالأساس اللازم للاستخدام الحقيقي للكلمات، وهو الأمر الذي يدركه الشعراء المفكرون إدراكاً حقيقياً(١).

ومن ناحية أخرى، فقد أوضح هايدجر في "المدخل إلى الميتافيزيقا" أنه ثمة علاقة وثيقة بين السؤال عن الوجود وأصل اللغة؛ فالسؤال عن الوجود إنما هو محاولة التعبير عن الوجود من خلال كلمات(٢) *Zum Wort zu bringen*.

وفي محاضرات هايدجر عن هيرقليطس الشذرة *B50* التي ألقاها في عام ١٩٤٤م أشار إلى أن ماهية اللغة لا تتمثل في الصوت أو الدلالة – وهما بحق من خصائص اللغة – وذلك لأنهما لا يعبران عن المجال الذي تهتم به اللغة ذاتها، وهو – في رأي هايدجر – المجال الأصلي.

إن الطريق إلى ماهية اللغة يقوم على الإنصات الجيد للمعنى الأصلي للكلمتين اليونانيتين *Legein* و *Logos* الأولى تعني يقول أو يتكلم، والثانية هي القول أو الكلام، واللوجوس عند هايدجر هو "القول الأصلي للوجود" أو هو الوجود بوصفه قولاً، أو الوجود بوصفه لغة(٣).

فإذا كان الكلام حقيقياً، فهو استجابة لقول الوجود الأصلي، بحيث يتم ترك الموجود للانفتاح: فاللوجوس هو بمثابة عملية تجميع *Brief über den Humanismus* للموجودات ولذاتها بوصفها قولاً أصلياً؛ ويعني ذلك أن هايدجر في تلك المحاضرة يحاول أن يفكر في ماهية اللغة من خلال ماهية الوجود(٤).

وفي "خطاب حول النزعة الإنسانية" *Sumsinamuh ned reb* ١٩٤٧م وصف هايدجر مرة أخرى كيف أن العلاقة بين الوجود والإنسان تقوم على التفكير؛ فالوجود من حيث طبيعته محتجب، وعن طريق التفكير يحدث تجلي الوجود أو تكشفه؛ وهذا الظهور يتم حدوثه فقط من خلال اللغة التي تعبر عن الوجود.

ذهب هايدجر إلى أن لغة الإنسان مثل تفكيره، لابد من النظر إليها بوصفها استجابة للوجود، وأنه عن طريق لغة المفكرين العظام الذين يعبرون عن الوجود تستقر الآنية في بيت

(1) Kockelmans, J. J.: "On The Truth ..", P. 150.
(2) Ibid., P. 148.
(3) Ibid., P. 150-151.
(4) Ibid., P. 151.

الوجود. ويشير إلى أن مهمة الآنية ليست تشييد هذا السكن؛ إنها بالأحرى تساهم في اكتماله عن طريق التفكير الذي هو تفكير في الوجود، ولما كان الوجود ذاته يكون بالفعل على الطريق إلى اللغة، فإن تفكير الآنية يحقق الحضور للوجود عن طريق الكلام أو اللغة؛ أو بعبارة أخرى، إن تفكير الآنية يمد الوجود بالكلمات الضرورية لانكشافه وانفتاحه.

يقول هايدجر في "خطاب حول النزعة الإنسانية" إن التفكير في قوله الخاص يحضر الكلمة غير المنطوقة *unspoken* إلى مجال اللغة، ويعني ذلك أن الوجود يتم الكشف عنه عن طريق اللغة، وأنه دوماً في طريقه إلى اللغة، وبذلك تصبح اللغة ذاتها إيضاحاً للوجود(١).

أما عن موضوع هذا البحث فهو محاضرة ألقاها هايدجر في أكتوبر ١٩٥٠م بعنوان اللغة(*)، واتخذ فيها قصيدة جئورج تراكل بعنوان "أمسية شتوية" مثالاً لتوضيح ماهية اللغة أو أصل اللغة من وجهة نظر أنطولوجية.

يرى هايدجر في هذه المحاضرة أن حديث التفكير الأصلي حديث شاعري -*Poetic Dichterisch* وليس نثريًا؛ فالمقابل للقصيدة الشعرية ليس النثر؛ بل إن النثر الخالص ذو طبيعة شاعرية مثل الشعر، كما أن صوت الفكر يجب أن يكون شاعرياً؛ لأن الشعر هو قول الحقيقة، والقول هنا انكشاف للموجودات؛ فهو يدعو كل ما يوجد إلى الحضور في وحدة الوجود التي تجمع بين الموجودات جميعاً. كما سيأتي بيانه؛ ذلك أن الشعر عند هايدجر تأسيس للحقيقة. واللغة الحقيقية هي التي تحضر من خلالها الموجودات في انفتاح الحقيقة، وهذه اللغة هي الشعر، لذا وقع اختيار هايدجر في هذه المحاضرة على قصيدة تراكل "أمسية شعرية"، وهي القصيدة التي توضح لنا – كما سيأتي بيانه – أن اللغة تدعو إلى حضور رباع العالم الفريد(**): الأرض – السماء – الفانون – الخالدون (رسل الربوبية)، وتدعو الأشياء إلى الحضور، كما تدعو إلى العلاقة الحميمة بين العالم والأشياء والفرق بينهما(٢).

---

(1) Ibid., P. 151-152.

(*) ألقى هايدجر هذه المحاضرة في السابع من أكتوبر سنة ١٩٥٠م في بولرهيهه Buhlerhohe في ذكرى الناقد الأدبي ماكس كومريل M. Kommerell، وأعيدت مرة أخرى في الرابع من فبراير سنة ١٩٥١ في شتوتجارت Stuttgart، ثم نشرت في كتاب هايدجر "على الطريق إلى اللغة Unterwegs zur Sprache".
(Cp. Heidegger, M.: "Poetry Language and Thought" trans. By A. Hofstadter, Harper & Row Publishers, New Yourk, U.S.A. 1975, P. XXV).

(**) في محاضرة هايدجر عن "اللغة" اتضح تأثير محاضرته عن الشيء سنة ١٩٥٠م؛ فالوجود (الواحد) يُدرك بوصفه رباعاً فريدًا das Geviert – Fourfold، وهذا الرباع بدوره يترك الأشياء كي توجد، ويسمح بالتفكير في الموجودات؛ فاللغة في أصلها لوجوس وصمت يجد في رحابه كل الموجودات ما يحتاجونه من راحة وسكينه.
(Cp. Richardson W.J.: Heidegger, Through Phenomenology to Thought", P. 577).

(2) Heidegger M. Poetry, Language, Thought, trans. And Introduction by Hofstadter A., P. IX, X, XII, XIII.

المفهوم الفلسفي لمحاضرة "اللغة"
في مؤلفات هايدجر المتطورة

أولاً: الإنسان بوصفه إنساناً موجود يتحدث:

يقول هايدجر:

"الإنسان يتحدث، ونحن نتحدث في حال اليقظة والحلم، نحن نتحدث دوماً حتى عندما لا نتفوه بكلمة واحدة بصوت عال، وإنما ننصت أو نقرأ، وعندما لا ننصت أو نقرأ فنحن نقوم بعمل ما أو نركن إلى الراحة.. نحن نتحدث باستمرار بطريقة أو بأخرى، ونحن نتحدث لأن الحديث أمر طبيعي بالنسبة للإنسان، فالإنسان يتحدث وفقاً لطبيعته، والإنسان تمييزاً له عن النبات والحيوان هو الكائن الحي القادر على الحديث"(١).

ويعني ذلك – كما يرى هايدجر – أن الحديث وحده هو الذي يمكن الإنسان من أن يكون كائناً حياً بوصفه إنساناً؛ فاللغة تدخل في علاقة قرب وثيقة مع وجود الإنسان، ونحن نلتقي باللغة أينما ذهبنا، فهي من ثم لا تفاجئنا؛ بل إنه ما أن يدرك الإنسان ذاته وما يوجد حوله من موجودات، حتى يدرك وجود اللغة في الوقت نفسه(٢).

وضع هايدجر محاضرات ثلاث عن "ماهية اللغة" *Das Wesen Der Sprache*، يقول في "المقدمة": إن هدفه هو "الدخول في تجربة مع اللغة" ولا يعني ذلك أن نقوم بتجارب على اللغة أو نجمع معلومات عنها كما يفعل علماء اللغة، وما بعد اللغة(*)، ونتأمل في سكننا في اللغة، ونستوضح طبيعة شيء يتعلق بصميم وجودنا(٣).

في المحاضرة الأولى، حاول هايدجر أن يلفت انتباهنا إلى التجربة الشعرية في اللغة مبيناً الصلة بين التفكير والشعر. وفي المحاضرة الثانية ألقى مزيداً من الضوء على طبيعة

---

(1) Heidegger, M.,: "Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache" Vittorio Klosterman Frankfurt am Main, Gesamtausgabe, Band 12, Germany, 1985, S. 9.

(2) Ibid., S. 9.

(*) سؤال هايدجر عن ماهية اللغة لا ينتهج مسالك الميتافيزيقا الحديثة التي تتقيد بها بحوث "ما بعد اللغة"، وهي بحوث السيطرة التقنية التي تهدف إلى تشغيل أداة التوصيل والإعلام بين الكواكب المختلفة، أما ما بعد اللغة فهي لغة بعدية تنصب على دراسة لغة أخرى (الحساب المنطقي) وتضم نظريات بعدية عن الخصائص البنائية والدلالية والصورية للغة التي تدرسها، ولهذه النظريات أهمية كبرى في تطور السيبرنطيقا والعقول الحاسبة.
(قارن: عبد الغفار مكاوي: نداء الحقيقة، ص: ٢٠٦).

(٣) عبد الغفار مكاوي: "نداء الحقيقة" – ترجمة ودراسة وتقديم، سلسلة النصوص الفلسفية (٩)، دار الثقافة للطباعة و النشر – القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٠٦.

هذه الصلة ومنهج التمييز بينهما. أما المحاضرة الثالثة – وهي موضوع بحثنا – فهي محاولة للدخول في تجربة مع اللغة[١].

يقول هايدجر: ".. سوف نفكر في اللغة ذاتها وحسب، فاللغة ذاتها هي اللغة ولا شيء غير ذلك ..." [٢].

إذن علينا أن نحيا تجربة اللغة بحيث تعبر عن نفسها بنفسها؛ فاللغة تتميز بأننا نعيش فيها، ونألفها دون أن ننتبه إلى ذلك أو نحاول تركيز أبصارنا عليها، فكيف نخرج من هذه الحال ونفكر في ماهيتها أو أصلها؟[٣].

ذلك السؤال هو ما يحاول هايدجر الإجابة عنه في هذه المحاضرة.

ثانياً: اللغة تتحدث Die Sprache Spricht – Language Speaks:

يقول هايدجر في محاضرة "اللغة":

".. كيف تحدث اللغة بوصفها كذلك؟ والإجابة هي أن اللغة تتحدث"، ولكن هل يُعتبر ذلك إجابة؟ يمكن أن يكون الأمر كذلك إذا عرفنا ما الحديث: ... إن تأمل اللغة يتطلب الدخول في حديث اللغة كي نمكث مع حديثها وليس مع حديثنا ... ونحن لا نريد أن نؤسس اللغة بناء على شيء آخر يختلف عن اللغة ذاتها، كما لا نهدف إلى تفسير الأشياء الأخرى عن طريق اللغة... "اللغة هي اللغة"[*]، وهذه العبارة لا تؤدي إلى شيء آخر تقوم عليه اللغة ... اللغة تتحدث .. ونحن إذا سلمنا بهذا المعنى نشعر بالإلف والسكن والعثور على المستقر[٤].. اللغة تتحدث، ماذا عن حديثها؟ وأين نلتقي بهذا الحديث.. حديث اللغة يبين كيف يمكن الحفاظ على اللغة، وتحقيق الحضور لها"[٥].

يتبين لنا من النص السابق أن اللغة تتحدث بمقدار ما تشير وتوضح، وبمقدار ما تتغلغل في كل مجالات الحضور، وبمقدار ما تترك ما هو حاضر ليكشف عن نفسه أو يحتجب. ويترتب على ذلك أنه علينا أن ننصت إلى اللغة، وأن نترك ما نقوله يتحدث بنفسه إلينا، وهذه الإرادة في أن نترك اللغة تتحدث بنفسها إلينا تسبق كل أنواع الاستماع أو

---

(1) Kockelmans, J. J,: "On the Truth of Being", P. 158-159.
(2) Heidegger, M.: ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache), S. 10.
(٣) عبد الغفار مكاوي: "نداء الحقيقة"، ص: ٢٠٦.
(*) "Die SPrsche ist Spache – Lanugage is Language".
(4) Heidegger, M.: ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache), S. 10-11.
(5) Ibid, S. 13-14.

الإنصات. كما أن حديثنا يأتي بعد الإنصات إلى اللغة؛ فالصوت غير المسموع للغة هو الذي يثير فينا إرادة الحديث[١].

إذن علينا أن نسمح للغة بأن تتحدث بنفسها إلينا، ويفترض ذلك مسبقاً أن أسلوب وجودنا منفتح أصلاً على ما نقوله. فنحن ننصت إلى "حديث" اللغة فقط، إلى الحدث الذي نكون فيه في المجال الذي تنفتح فيه إلينا في "حديثها"؛ فاللغة تمكن الإنسان من الإنصات إليها، ومن ثم تتيح له إمكانية الحديث[٢].

ذهب هايدجر إلى أن الرأي السائد في تفسير معنى الحديث هو أنه التعبير الذي يمكن الاستماع إليه، ومن ثم يصبح وسيلة للإتصال بمشاعر الإنسان وأفكاره؛ إلا أن هذا الوصف للغة يثير أموراً ثلاثة يتم التسليم بها بلا مناقشة:

أولاً: القول بأن الحديث هو التعبير، وهو أكثر الآراء شيوعاً، ويفترض مسبقاً وجود فكرة عن شيء داخلي يعبر عن نفسه تعبيراً خارجياً. إلا أن هذا التصور عند هايدجر يحيل اللغة إلى تصور خارجي وسطحي.

ثانياً: القول بأن اللغة نشاط للإنسان، فالإنسان يتحدث دوماً لغة ما، ولا يمكن القول في إطار هذا الرأي بأن "اللغة تتحدث"، وإنما "اللغة هي التي تحقق للإنسان الوجود": فالإنسان يتحدث عن طريق اللغة.

ثالثاً: القول بأن التعبير الإنساني إنما هو عرض أو تفسير لما هو موجود في الواقع.

وعلى الرغم من ذلك، فإن هايدجر يرى أن الآراء السابقة لا تكفي لمعرفة ماهية اللغة؛ فهناك من جهة من يؤكدون أن مصدر اللغة إلهي وليس إنسانياً خالصاً، وهناك من جهة أخرى من يعرفون اللغة بأنها كلام مسموع يعبر عن الانفعالات الداخلية.. إلخ، إلا أن هذه التفسيرات لا جدوى من ورائها في وصف ماهية اللغة؛ فهي وإن كانت يقبلها العقل، فإنها لا تجعلنا قط نفهم اللغة بما هي كذلك[٣].

يعني ما سبق أنه على الرغم من أنه يمكن القول بأن اللغة لا تتحدث ما لم يجعلها الإنسان أولاً تصدر صوتها عن طريق أعضاء الكلام، فإنه من الصواب أيضاً أن نقول – وفقاً لما يراه هايدجر – إن اللغة نفسها تتحدث؛ وهي تتحدث بمقدار ما تفصح لنا عن شيء ما، أو تكشف النقاب عنه[٤]، والإنسان في حديثه[*] إنما "ينصت" إلى ما ينبغي أن تقوله اللغة.

---

(1) Kockelmans J.J: "On the Truth…", P. 153.
(2) Ibid.
(3) Heidegger, M.: ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache), S. 11-13.
(4) Kockelmans, J.J.: "On the Truth…", P. 153.

(*) يلاحظ هنا التمييز الدال بين الحديث Speeking والقول Saying؛ فمن الممكن للإنسان أن يتحدث كثيراً بينما لا يقول شيئاً، ومن الممكن أن يقول كثيراً من خلال الصمت!
(Cp. Kockelmans J.J.: "On the Truth..", P. 152.

يرى هايدجر أن "الإنسان لا يكون كذلك إلا بقدر ما ينصت إلى نداء اللغة، وبقدر ما يُستخدم للغة وللحديث بها"، وهذه العبارة تقلب علاقة الإنسان باللغة رأساً على عقب: فإذا كانت اللغة سكن الإنسان الذي يحيا فيه دون أن ينتبه إليه أو يتفكر في أمره، فهو أبعد الأشياء عنه وأقربه إليه في الوقت نفسه! والإنسان هنا يتوارى قليلاً كي تحتل اللغة المقدمة.. فاللغة هي التي تستخدم الإنسان، وعليه أن ينصت إليها[١]؛ والإنسان من حيث طبيعته "ملقى" به في اللغة[*]؛ أي أنه في حدوث اللغة، يصبح للوجود مكان الصدارة لا بمعنى إيجابي فقط، وإنما بمعنى سلبي[٢] متضمن في واقعة الارتماء في العالم الخاصة بالموجود الإنساني.

إذن الإنسان عند هايدجر يحاول أن يعد نفسه للدخول في تجربة مع اللغة، و"التفكير" يعني عنده أولاً وقبل كل شيء "الإنصات"؛ فاللغة هي التي تتجه بذاتها إلينا، وتتحدث إلينا عن ماهيتها الخاصة[٣].

وجدير بالذكر أن الدخول في تجربة مع اللغة لا يعني أن هذه التجربة من صنع الإنسان، فالإنسان يخضع لها، ويتقبلها عندما تفاجئه، ويتحملها عند حدوثها، فإذا ما عثر الإنسان على الطريق الصحيح لوجوده في اللغة، فإنه تتكون لديه تجربة أصلية مع اللغة تمس صميم وجوده، ويتحقق له التحول الذي ينشده[٤].

ثالثاً: ماهية اللغة هي اللغة الماهية:

يمكن القول في ضوء ما سبق أن "اللغة" أو الكلمة هي التي تساعد الشيء على الوجود أو تحفظه، أو أنها هي التي تجعله شيئاً. والعلاقة بين الشيء والكلمة أقرب إلى "التمكين"؛ فالكلمة هي التي "تمكن" الموجود من الوجود، وتكفله له.

والكلمة "لا تكون" بالمعنى الذي "تكون" به الأشياء والموجودات؛ بل إن وجودها متميز عن سائر الأشياء؛ فلا نقول إنها تكون، وإنما إنها "تعطي" *Es gibt*، وهي تعطي الوجود بمعنى "الإنارة" التي تتجلى فيها الموجودات وتظهر دون حاجة منها إلى خلقها وإيجادها[٥].

إذن اللغة عند هايدجر هي "لغة الوجود"، ولابد أن تتحدث إلينا، وأن تعبر لنا عن ماهيتها "فماهية اللغة هي لغة الماهية"، ولن يتسنى لنا تجربة اللغة حتى يحدث هذا، وخير

---

(١) عبد الغفار مكاوي: "نداء الحقيقة"، ص ٢١٤.

(*) "By nature man is thrown into Language".

(2) Kockelmans, J.J.: "On the Truth…", P. 149.

(3) Ibid., P. 163.

(4) Ibid., P. 159.

(٥) عبد الغفار مكاوي: "نداء الحقيقة"، ص ٢١١-٢١٣.

ما يمهد لهذا الحدث أن نحس بالقرب بين الشعر والفكر، ونتمكن من السكن في هذا القرب كما سيأتي بيانه تفصيلاً.

"**إن ماهية اللغة هي لغة الماهية**": الماهية في الشطر الأول من العبارة تختلف عن الماهية في الشطر الثاني؛ في الأول تأتي إجابة عن السؤال عما هي اللغة، وهي هنا الموضوع الذي نبحث عن ماهيته عن طريق تصورنا عنه بحيث يمكننا الإجابة عن السؤال "ما هو؟"؛ أي أن هذا الشطر يعبر عن مجال التصور الميتافيزيقي التقليدي؛ أما الماهية في الشطر الثاني من العبارة فهي التي تنقلنا من ميدان التصور الميتافيزيقي؛ فهي ليست الآن إجابة عن السؤال عما هو الموضوع؛ فلسنا بصدد موضوع أو شيء موضوعي؛ وإنما تفيد الحفاظ والعطاء، فاللغة تتصل بصميم وجودنا، وتحركه وتنتمي إلى الماهية التي تحرك وتمنح[١].

إن اللغة عند هايدجر توجه إلينا النداء، ونحن ننصت إليها باستمرار، ولكننا لا نفكر في ذلك، وإذا لم ننصت إليها في كل مكان، لن يكون بوسعنا أن نتحدث ولو كلمة واحدة، بحيث يمكن القول بأن "ماهية اللغة هي لغة الوجود"؛ فالوجود ملك للغة، ولم يعد يعني الماهية، وإنما الحضور، والحفاظ، وهو بهذا المعنى يُسمى ما يشغلنا وما يثير انتباهنا من الأشياء، لأنه يصنع طريقه إلى كل الأشياء، وهو يصنع ذلك الطريق لأنه "يتحدث"[٢].

يتضح مما سبق أن ماهية اللغة ترتبط بالقول الأصلي[*] *(Ursage-Primordial Saying)* بوصفه إيضاحاً وكشفاً، والإنسان بوسعه أن يصل إلى الحقيقة فقط عندما يتجه في إنصاته وحديثه نحو قول الوجود *The Saying of Being*[٣].

والقول يعني "التجلي" و"الظهور" و"الهبة"، و"التحرير"، وما يُمنح هنا هو العالم الذي يوضحه القول بالكشف عنه، ومنح العالم الذي يتسم بالإنارة والاحتجاب هو ماهية القول في اللغة[٤]، فضلاً عن أن قول اللغة يحرر العالم بحيث يكون متناهيًا وزمانيًا[٥].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢١٥-٢١٦.

(2) Kockelmans, J.J.: "On the Truth…", P. 163- P. 166.

(*) يلاحظ أن العلاقة بين الوجود والقول الأصلي سيطرت على تاريخ الفلسفة منذ ظهورها؛ وتجلى ذلك في كلمة "لوجوس"، وهذه الكلمة تعبر أيضاً عن العلاقة بين الشيء والكلمة.

(3) Ibid., P. 149-152.
(4) Ibid., P. 165.
(5) Ibid., P. 153.

إن وظيفة اللغة عند هايدجر هي "ترك الوجود ليكون ذاته"(*)، ولأن الموجودات الأخرى بخلاف الإنسان لا يتوفر لديها هذا المدخل الخاص إلى اللغة، فإنها لا تستطيع أن تتحدث؛ ذلك أن المعنى الأساسي للتفكير هو ترك الموجود لكي يوجد، ولكي يعبر عن الحقيقة في صورة كلمات(١).

أشار هايدجر إلى علاقة القرب بين الشعر والتفكير فضلاً عن كونهما نوعين من القول، كما أشار إلى أن إدراك هذه العلاقة قد يتيح لنا الدخول في تجربة مع اللغة(٢)، وهو الهدف الذي أكد أهميته في مستهل محاضرته عن "اللغة" كما سيأتي بيانه فيما يلي.

رابعاً: علاقة القرب بين الشعر(**) والتفكير:

يقول هايدجر: "موضوع الحديث الخالص هو الشعر(***) وعلينا أن نعتبر العبارة فرضاً أساسياً"(٣). يبدو من النص السابق أن التفكير في ماهية اللغة ألجأ هايدجر إلى التماس العون من الشعراء، ربما لأن علاقتهم باللغة متميزة، أو لأنهم أقدر من غيرهم على التعبير عنها، أو لأن الشاعر هو حارس الكلمة ومدبرها(٤).

يرى هايدجر أنه حتى عندما نبدأ في التفكير، وننصت إلى الشعراء(****)– وكلاهما يدوران في فلك اللغة – وعندما نمكث بالقرب من الشعر والتفكير، فإننا لا نعرف حقيقة ماهية ذلك القرب؛ وإنما نكون على الطريق إليه وحسب(٥).

(*) "To let Being be itself".

(1) Richardson W.J., "Heidegger, Through Phenomenolgy..", P. 540-541.

(2) Kockelmans J. J.: "On the Truth…", P. 166.

(**) Dichtung-Poetizing لا تعني بالألمانية مجرد نظم الشعر؛ ولكنها تعني النشاط الذي يخلق ويشكل، ويتحقق على صورة كشف أنطولوجي (قارن: مارتن هايدجر: ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا – هيلدرلين وماهية الشعر ترجمة فؤاد كامل، محمود رجب، مراجعة عبد الرحمن بدوي، سلسلة نصوص فلسفية، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٤، ص: ١٣٩).

(***) Rein Gesprochenes ist das Gedicht – What is Spoken Purely is the Poem.

(3) Heidegger, M: ("Die Sprache" in Unterwes zur Sprache), S. 14.

(٤) عبد الغفار مكاوي: "نداء الحقيقة"، ص: ٢٠٧ – ٢١٠.

(****) تحول هايدجر في منتصف الثلاثينيات نحو الفن تحولاً واضحاً في محاضرته عن "الأصل في العمل الفني"، ومحاضرته عن "هيلدرلين وماهية الشعر"، والفن كل فن عند هايدجر هو من حيث الماهية شعر.
(Vgl.: Winfried, F.: "M. Heidegger", f.B. Metzlersche Verlagsbuch-handlung, Stuttgart, 1970, Germany, S. 71).

(5) Kockelmans, J.J.: "On The Truth..", P. 169.

وما يتعلمه الشاعر من تجربته مع اللغة هو أن الكلمة تؤسس الشيء بوصفه كذلك، وتجعله حاضرًا، وإذا كانت التجربة الحقيقية مع اللغة تجربة تفكير عند هايدجر، فلا ينبغي أن نغفل أن طريق التفكير يرتبط بعلاقة قرب وثيقة مع طريق الشعر الحقيقي؛ فكلاهما في حاجة للآخر كي يتأسس الوجود، وكلاهما طريقة في القول *Sagen-Saying*، وتدل هذه العلاقة على معنى الإلف والسكن في هذا القرب(١).

وإذا كانت "اللغة بيت الوجود"، فإن اللغة هي التي تكشف عن الوجود ذاته، وبمقدار ما يتم التعبير عن الوجود عن طريق اللغة، تصبح هذه اللغة لغة الوجود، مثلما تكون السحب سحب السماء، فضلاً عن أن الوجود في حاجة إلى الموجود هناك، أو الموجود الإنساني كي يوجد، وبالتالي فإن التفكير في الوجود لا يتم إلا عن طريق اللغة التي يتمتع بها الإنسان راعي الوجود(٢).

ولكن ما طبيعة الصلة بين التفكير والشعر عند هايدجر؟ يرى هايدجر أن "المفكر يتحدث عن الوجود، أما الشاعر فهو يسمى المقدس"(*)؛ أي أن الشعراء هم الذين يسمون الآلهة، ويسمون الأشياء والموجودات، وبهذه التسمية أعانوا الإنسان على أن يتحقق في التاريخ، وفي العالم، ويتصل بالأشياء من حوله(٣)، فالشعر تأسيس للوجود عن طريق الكلام(٤).

وإذا كانت ماهية الشعر تكمن أساساً في علاقته الخاصة بالوجود والحقيقة، فذلك لأن الشعر انفتاح للموجود، وهذا الانفتاح يحمل معان ثلاثة: البدء *Anfangen* والتأسيس *Grunden*، والهبة(**)(٥) *Schenken*؛ فالأشياء يتحقق لها الحضور عندما يسميها الشاعر، وهي غير موجودة مادامت لم تُسمى بعد(٦).

---

(1) Ibid., P. 161-165.
(2) Richardson W, J.: Heidegger, Through Phenomenology to Thought", P. 535, 540.
(*) The thinker utters Being, the Poet names the Holy-Der Denkder sagt das Sein, Der Dichter nennt das Heilige" (WIM).
(٣) مارتن هايدجر: "في الفلسفة والشعر"، ترجمة وتقديم عثمان أمين، مكتبة نفائس الفلسفة الغربية، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، ١٩٦٣، ص: ٢٤.
(٤) المرجع نفسه، ص: ٩٢.
(**) يقال في الألمانية It gives the word-Es gibt das Wort ومعناه كما يرى هايدجر أن الكلمة تمنح ذاتها، وهي في ذلك تمنح الوجود أيضاً.
(Cp. Kockelmans J.J: "On the Truth..", P. 165.
(5) Winfried, "M. Heidegger", S. 72
(6) Kockelmans, J.J.: "On The Truth..", P. 161.

خامساً: التفسير الأنطولوجي لقصيدة تراكل:

يقول هايدجر: في محاضرة "اللغة": ".. ولكن ما تلك القصيدة التي تعنينا أكثر من غيرها .. كي ننصت إلى موضوع الحديث؟ إنها قصيدة بعنوان "أمسية شتوية *Ein Winterabend – A Winter Evening* لجئورج تراكل"(١).

تقول القصيدة(*):

حينما يتساقط الثلج فوق النافذة
وتدق أجراء المساء دقاتها المتواصلة
تكون المائدة قد أعدت لعدد من الناس كبير
I والبيت في أحسن أحواله
وبعض المتجولين
يقفون عند البوابة في الدروب المظلمة
وتثمر شجرة النعم ثمارها الذهبية
II من العصارة الرطبة للأرض!

* * *

ويدلف المتجول إلى الداخل
والألم قد أحال البوابة إلى حجر

---

(1) Heidegger, M.: "Die Sprache..", S. 14.

(*) Wenn Der Schnee ans Fenster Fällt, Window with falling snow is arrayed,
Lang die Abendglocke lautet, Long tolls the vesper bell,
Vielen ist der Tisch bereitet The house is provide well,
Und das Haus ist wohlbestellt. The table is for many laid.
Mancher auf der Wanderschaft Wandering ones, more than a few,
Kommt ans Tor auf dunkllen Pfaden Come to the door on darksome courses.
Golden bluht der Baum der Gnaden. Golden blooms the tree of graces
Aus der Erde Kuhlem Saft Drawing up the earth's cool dew.
Wanderrer tritt still herein; Wanderer quietly steps within;
Schmerz versteinerte die Schwelle. Pain has turned the threshold to stone.
Da erglänzat in reiner Helle there lie, in limpid brightness shown,
Auf dem Tische Brot und Wein Upon the table bread and wine.

(Cp. Halliburton, D. "Poetic Thinking – An Approach to Heidegger" The uni. Of Chicago Press Ltd, London, 1981, P. 185-186.

III وهناك يسطع فوق المائدة

الخبز والنبيذ ناصعاً نقياً[*].

أ- البنية الفنية للقصيدة:

قام هايدجر بتحليل القصيدة في محاضرته عن "اللغة" فذهب إلى أنها تتكون من مقاطع ثلاثة، "الوزن والإيقاع" فيها يمكن تعريفهما بدقة وفقاً للقواعد الخاصة بالشعر، أما مضمون القصيدة فيمكن فهمه؛ إذ لا توجد كلمة واحدة غير مألوفة أو تتسم بالغموض، إلا أن البيتين الثالث والرابع في المقطع الثاني يتسمان ببعض الغرابة.

و"الخيال" في القصيدة يبرز جمالها الاستطيقي من ناحية البنية الفنية. والقصيدة عموماً "وصف لأمسية شتوية": المقطع الأول منها يصف ما يحدث في الخارج من تساقط الثلوج ورنين أجراس المساء، والأشياء في الخارج تمس الأشياء الموجودة داخل البيت في الصميم؛ فالثلوج تتساقط فوق زجاج النافذة، ورنين أجراس المساء تدلف إلى كل بيت، بينما قد تم إعداد كل شيء، بما في ذلك المنضدة الخاصة بتناول المأكل والمشرب على خير ما يرام[1].

أما المقطع الثاني من القصيدة فيبرز تناقضاً، فبينما يجلس عدد كبير من الناس إلى المائدة بالداخل، فإن بعض المتجولين يترددون في الدروب المظلمة جيئة وذهاباً ولا بيت ينزلون فيه. وهذه الدروب تنتهي إلى بوابة.

وفي المقطع الثالث يُدعى المتجول الوحيد إلى الدخول من الظلام الحالك في الخارج إلى الضوء المشع داخل البيت.

من ذلك العرض السريع لمضمون القصيدة، يتضح كيف تم استخدام – اللغة – للتعبير عن مشاعر البشر، وموقفهم من العالم الذي يواجههم؛ ومع ذلك فإن هايدجر يرى في عبارة هامة[**] له أن اللغة ليست تعبيراً ولا نشاطاً صادراً عن الإنسان، وإنما اللغة تتحدث"[2].

كما يبين أننا الآن نبحث عن "حديث اللغة في القصيدة"؛ فإذا كان "عنوان القصيدة" هو أمسية شتوية، فإن ذلك العنوان قد يجعلنا نتوقع أن القصيدة وصف لأمسية شتوية كما تحدث في الواقع؛ ولكن القصيدة لا تصور تلك الأمسية وفقاً لزمان أو مكان محددين، كما لا يمكننا

(*) هذه الترجمة للقصيدة محاولة متواضعة من كاتبة السطور لنقلها إلى اللغة العربية.

(1) Ibid., S. 15-16.

(2) (**) "Die Sprache ist in ihrem Wesen Weder Ausdruck noch eine Betatigung des Menschen, die Sprache Spricht", (Cp. Heidegger, M. "die SPrache", S. 16.

الزعم بأن هذه الأمسية قد حدثت بالفعل في ذلك الزمان أو المكان، فالقصيدة زاخرة بالخيال حتى عندما تصف لنا أمراً يمكن حدوثه في الواقع. والخيال الشعري في هذه القصيدة "يتحدث"، وموضوع الحديث هو ما يدور في خلد الشاعر، وما يعلن عن مضمون: و"اللغة القصيدة" يمكن تفسيرها على أنحاء شتى، واللغة تبرهن على أنها تعبير؛ ومع ذلك فهذه النتيجة تتعارض مع القضية القائلة بأن "اللغة تتحدث" بافتراض أن الحديث في ماهيته الأساسية ليس تعبيراً، أو بعبارة أدق، فإن القول بأن اللغة تعبير لا يفسر لنا[١] ماهية اللغة.. فالعبارة الدالة القائلة بأن "اللغة تتحدث" تعني أن اللغة – وليس الإنسان – هي التي تتحدث، ولا ينكر بذلك هايدجر أن "الظواهر اللغوية" تندرج تحت عنوان رئيس هو التعبير – *Ausdruck Expression*، ولكن الأمر يؤدي إلى تساؤل هام: كيف يتحدث الإنسان؟ وما الحديث؟[٢].

يتضح مما سبق أن هايدجر قد استخدم قصيدة "تراكل" في محاضرة اللغة لتوضيح كيف تترك اللغة العالم ليكون موجوداً؛ فيرى هايدجر أن المقطع الأول من القصيدة يدعو "الأشياء" إلى الحضور، والمقطع الثاني يدعو "العالم" إلى الحضور، أما المقطع الثالث فيتناول "الفرق" بين العالم والأشياء، وهذا الفرق يحدث عن طريق قول اللغة بصفة خاصة[٣]. أو عن طريق الوجود بوصفه قولاً *Sagen – Utterance*.

إذن ماهية اللغة عند هايدجر لا تنفصل عن ماهية الوجود، والشعر تأسيس للوجود، علماً بأن كل عمل فني تأسيس للحقيقة، وهو من ثم في ماهيته شعر[٤]، كما أن الفكر والشعر ينبعان من اللوجوس ذاته، والفكر مستمداً من الشعر الأصل له سمة شعرية خاصة به، ولا يمكننا فهمها حتى ندرك الماهية الأصلية للغة أو اللوجوس[٥].

يرى هايدجر أن اللغة تحدث بوصفها الفرق بين العالم (الوجود) والأشياء (الموجودات)[*]، وهو ما يُسمى عنده بالفرق الأنطولوجي *Ontologische Differenz*، ولكي يحدث اللوجوس بوصفه فرقاً أنطولوجياً تظهر الحاجة إلى الإنسان أو الموجود الإنساني الذي ينفتح وجوده على اللوجوس بوصفه فرقاً[٦][**]، والوجود ندركه بوصفه

---

(1) Ibid., S. 17.
(2) Ibid., S. 18.
(3) Kockelmans, J.J.: "On The Truth…", P. 153-154.
(4) RichardsonW. J.: "Through Phenomenology..", P. 498.
(5) Ibid., P. 558.
(*) "Die Sprache west als der sich ereignend Unter-Schied für Welt und Dinge"
(6) Ibid., P. 580.

(**) في تأملات هايدجر المتطورة حول اللغة ذهب إلى أنه في "الفرق الأنطولوجي" يكون الوجود فهماً أصلياً للحقيقة، والحقيقة هنا تعني الانفتاح أو الكشف؛ كما يصبح العالم مشيراً إلى المعنى أو الدلالة الكلية للموجودات، والموجودات إما أن تكون موجودات متعينة أو موجودات في كليتها، والعالم والموجودات يختلفان اختلاف العالم والأشياء في الفرق الأنطولوجي. (Cp. Kockelmans J.J.: "On The Truth..", P. 157-158).

لوجوس بمقدار ما ندرك اللوجوس بوصفه اختلافاً، وحدوث هذا الاختلاف هو الذي يظهر الفرق الأنطولوجي، ومهمة الإنسان تنحصر في الاستجابة إلى النداء الموجه إليه والمعبر عن حاجة اللوجوس إلى "الهناك" أو "العالم" كي يحدث هذا الفرق، فضلاً عن أن الاستجابة لهذا النداء هي بمثابة حدوث للغة الإنسانية في صورتها الحقيقية[١].

ومن ناحية أخرى يرى هايدجر أن "اللوجوس" يعبر سلباً عن مجال "ما لا يقال" الكامن وراء كل قول أصلي؛ وأن هذا المجال ليس عدماً أو لا شيء؛ بل هو الثروة الكامنة لما يقال؛ إنه صوت بلا ضجيج، فكل تسمية أصلية وحقيقية تعبر عن شيء لا يقال.

إذن للوجود الأولوية في حدوث اللغة، ليس فقط في إيجابيتها، وإنما في سلبيتها أي في مجالها غير المقول. والإنسان وفقاً لطبيعته "ملقى به" في اللغة، وهو من ثم لعبة الوجود السلبي بوصفه كلاماً غير مقول، ويتم ذلك عندما يتغلغل الإنسان في مجال غير المقول *the un-said* بالتغلغل وراء المعاني المألوفة اليومية. وذلك فيما يسمى عند هايدجر "بالقرار"[٢]. *Decision* – أو "التصميم" *Entschlossenheit – Resoluteness*

ب- التسمية في قصيدة تراكل Das Nennen-The Naming**:**

يتساءل هايدجر في محاضرة "اللغة" عن طبيعة "التسمية" في قصيدة تراكل، وطبيعة الدور الذي تؤديه في القصيدة، كما يتساءل عما إذا كانت هذه التسمية تكشف الأشياء والأحداث المألوفة مثل الثلوج – الأجراس – النافذة، تساقط الثلوج، رنين الأجراس وذلك من خلال اللغة.

يرى هايدجر أن هذه التسمية هي بمثابة نداء للكلمة، "فالتسمية نداء"[*]، والنداء يقرب المنادَى، ويحقق الحضور للموجودات حتى تصبح أكثر قرباً[٣]؛ ففي التسمية تُنادى الأشياء التي نسميها إلى شيئيتها، ويتم الكشف عن العالم[٤].

ولكن النداء *Das Herrufen – The Calling* يوجه نداءه إلى المنادى حيث يكون ذلك المنادى غائباً، وهو في ذلك ينادى للقرب، ومن ناحية أخرى فإن النداء ينادى ذاته؛ فيبقى دائماً "هنا" و"هناك"، "هنا" في الحضور *Anwesen – Presence* و"هناك" في الغياب *Abwesen – Absence*.

---

(1) Ibid., P. 581.
(2) Ibid., P. 609-610.
(*) Das Nennen ruft – The naming calls.
(3) Heidegger, M.: "Die Sprache…", S. 18.
(4) Ibid., S. 19.

يرى هايدجر أن تساقط الثلوج، ورنين الأجراس في القصيدة يتحقق لهما الحضور في النداء. فإذا كان الأمر كذلك، فما الذي يُنادى عليه في المقطع الأول من القصيدة؟ أو ما موضوع النداء؟

إن المقطع الأول ينادى الأشياء، ويدعوها إلى الحضور، وهو لا يدعوها إلى الحضور لتكون بين الأشياء الحاضرة؛ فهو لا يدعو المنضدة المذكورة في القصيدة للحضور بين صفوف المقاعد؛ فالنداء يدعو الأشياء للحضور بعد أن كانت محتجبة في الغياب.

ومن ناحية ثالثة، يرى هايدجر أن "التسمية دعوة"(*)؛ إنها "تدعو" الأشياء للحضور في عالم الإنسان: فتساقط الثلوج يجعل البشر يستظلون بالسماء التي تميل إلى الغمام ليلاً، ودقات أجراس المساء تجعلهم "كفانين" *die mortals-Stereblichen*[1] في مواجهة الخالدين (أو رسل الربوبية) *the divine-Göttliche*.

وفي البيتين التاليين:

البيت في أحسن أحواله

والمنضدة قد أعدت لعدد من الناس كبير.

يبدو الحديث كما لو كان عن شيء حاضر ويؤكد ذلك فعل الكينونة المفهوم ضمنياً فيهما؛ ومع ذلك فالبيتان يتحدثان بطريقة النداء، ويحققان الحضور للبيت والمنضدة التي أحسن إعدادهما؛ إلا أن ذلك الحضور يتجه نحو شيء ما لم يزل غائباً.

إذن المقطع الأول من القصيدة ينادي الأشياء إلى شيئيتها ويدعوها إلى الحضور؛ فالنداء الموجه إلى الأشياء يدعوها إلى الحضور في العالم والظهور فيه، مما يعني أن المقطع الأول من القصيدة لا يسمى "الأشياء" فقط. وإنما يسمى "العالم" في الوقت نفسه، إنه ينادي "الكثرة" التي تعبر عن "الفانين" في رباع العالم كما سيأتي بيانه فيما يلي[2].

ج- رباع العالم الفريد في قصيدة تراكل Des Geviert – The Fourfold:

يمكن القول بأن أعمال هايدجر المتطورة وبخاصة محاضرته عن "الشيء" تسمية "للرباع" أي اتجاهات العالم الأربعة من أرض وسماء، وفانين، وخالدين في علاقتهم ببعضهم البعض. وفي محاضرة "اللغة" – موضوع هذا البحث – أوضح هايدجر كيف أن اللغة هي

(*) Das Heissen ist Einladen – Bidding is inviting.
(1) Ibid., S. 18-19.
(2) Ibid., S. 19-20.

التي تحمل تفاعل هذا الرباع أو هذه الوجهات الأربع، أو هذا العالم[١]، وفي هذا التفاعل يُحدث القرب، و"القرب والقول" عند هايدجر أسلوبان لإظهار اللغة وإحضارها للموجودات من التحجب إلى النور والانكشاف[٢].

واللغة بدورها تدعو الأشياء للحضور، والأشياء التي تدعوها اللغة وتسميها تجتمع فيما يسميه هايدجر "بالرباع": السماء – الأرض – الفانون – الخالدون، ومنذ زمن بعيد يتحد هذا الرباع بشكل فريد يجعل من الأشياء التي تسميها اللغة رباعاً يقيم في حياة الإنسان[٣].

إذن "الكلمات" أو "اللغة" هي "الجهة" التي تسمح للأرض والسماء، وتدفق الأعماق وقوة الأعالي بأن تتقابل وتتفاعل. وفي هذا التفاعل يتم القرب والإظهار والإحضار؛ أي يكون الوجود. ويعني ذلك أن "اللغة" عند هايدجر هي "سيدة العلاقات"، ومحركة العالم، وكاشفة الوجود؛ فهي التي تعطي وتمنح، تحفظ وتحمي، وعلى الإنسان أن يسكن في بيتها، ويحرسه ويرعاه[٤].

وإذا أردنا البحث عن فكرة "الرباع" في "قصيدة تراكل" فسوف نجد أن البيت والمنضدة في المقطع الأول من القصيدة يربطان الفانين بالأرض *Erde-Earth*، وبالأشياء التي تم تسميتها، ونداء هذه الأشياء يضم إليها السماء والأرض من جانب، والفانين والخالدين من جانب آخر، وكل عنصر من هذه العناصر الأربعة يتوحد في اتجاه كل منها إلى الآخر، ووحدة الرباع هذه هي ما يطلق عليه هايدجر اسم العالم[٥] *Welt-World*.

ذهب هايدجر إلى أن المقطع الأول من القصيدة "يتحدث" من خلال دعوة الأشياء إلى الحضور[٦].

والمقطع الثاني "يتحدث" بطريقة مختلفة:

"بعض من المتجولين

يقفون عند البوابة في الدروب المظلمة"

---

(١) عبد الغفار مكاوي: "نداء الحقيقة"، ص: ٢١٦.

(٢) المرجع نفسه.

(3) Kockelmans, J. J.: "On The Truth.. ", P. 154.

(٤) عبد الغفار مكاوي: "نداء الحقيقة"، ص: ٢١٧.

(5) Hediegger, M.: "Die Sprache…", S. 19.

(6) Ibid., S. 20.

فهو ينادي ويسمي الفانين، ولا ينادي كل الفانين وإنما "بعض" الفانين فحسب الذين يتجولون في الدروب المظلمة، وهؤلاء الفانون مقبلون على الموت، كما أن المتجولين يتجهون نحو الموت، حيث يتألق في الموت الكشف الرائع عن الوجود! [١].

إذن على المسافرين على الدرب المظلم أن يقطعوه تجوالاً طلباً للبيت والمنضدة، وعليهم أن يقوموا بذلك، لا لأنفسهم وإنما من أجل عدد كبير من البشر حتى يتحقق معنى السكن والإلف مع الأشياء.

البيتان التاليان يسميان الأشياء – الباب – الدروب المظلمة، وهما بذلك يسميان "العالم" بوضوح، ولكنهما يسميان أيضًا وبشكل فجائي شيئًا مختلفاً كل الاختلاف:

"وتثمر شجرة النعم ثمارها الذهبية

من العصارة الرطبة للأرض"

يبدو من البيتين السابقين أن الشجرة جذورها ممتدة في "الأرض"، ولذلك فهي تنمو منفتحة لنعمة "السماء". إن القصيدة تسمى "شجرة النعم"، وفيها يجتمع رباع العالم؛ أو التاريخ أو اللاهوت، ولم تعد تعني مجموع الكائنات الحاضرة.

إذن البيتان الثالث والرابع من المقطع الثاني هما بمثابة نداء "لشجرة النعم" ودعوة لحضور العالم، وهذه الدعوة هي دعوة رباع العالم"، وهي من ثم دعوة العالم إلى الأشياء؛ فضلاً على أن التأكيد على كلمة "ذهبي" يحقق الانكشاف للشيء أو يحفظ بهاءه وروعة مظهره[٢]...

إذن المقطع الأول من القصيدة يدعو "الأشياء" إلى الحضور في العالم، والمقطع الثاني يدعو "العالم" إلى الحضور بالنسبة للأشياء، والدعوتان مختلفتان ولكن لا تنفصلان، بل ينتمي كل منهما إلى الآخر، ويتغلغل كل منهما في الآخر؛ ومع ذلك فلا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر، وهما في "قربهما" الأبدي يبقى كل منهما منفصلاً عن الآخر[٣].

وهذه الصلة الحميمة بين العالم والشيء لا وجود لها إلا عندما ينفصل كل منهما عن الآخر بوضوح، ويسمى هايدجر هذا الانقسام "بالفرق"[٤] *The-Unter-schied difference* وفي هذه الفرق يتم حضور الأشياء وصلتها الحميمة بالعالم، علماً بأن هذا الفرق إنما هو

(1) Ibid…
(2) Ibid., S. 20-21.
(3) Kockelmans, J. J.: "On the Truth … " P. 155.
(4) Heidegger, M.: "Die Sprache..", S. 22.

ظاهرة فريدة، ولا يؤخذ هنا بمعنى الاختلاف بين أنواع متعددة؛ إنه اختلاف فريد يستبعد الوسيط، ومن خلاله يصبح العالم والأشياء في وحدة؛ فهو يوجه العالم نحو الأشياء، والأشياء نحو العالم، وليس هذا الفرق "شيئًا" ثالثاً نضيفه إلى العالم والأشياء؛ إنه بالأحرى يحدد العالم والأشياء في حضورهما، وفي وجود كل منهما في اتجاهه نحو الآخر(١).

ومن ناحية أخرى فإن هذا "الفرق" لا يمكن تجريده عن العالم والشيء بوصفه العلاقة بينهما؛ فهو يكشف عن "الحادث" *das Ereignis – appropriation* في الأشياء عندما تُحضر العالم، وفي العالم في علاقته بالأشياء(٢).

إذن يمكن القول بأن البيت الأول من المقطع الثاني من القصيدة يدعو الأشياء إلى الحضور، والبيت الثاني يدعو العالم إلى الحضور، والبيت الثالث يدعو إلى العلاقة بني العالم والأشياء، ويدعوهما إلى الصمت، وهذا البيت الأخير يدعو إلى "الفرق"، وهو لا يدعو إلى التفكير فيه أو إلى التفكير في ماهيته عن طريق "التسمية"؛ إنه بالأحرى يدعو إلى البعد الذي يحققه هذا الفرق في وساطته بين العالم والأشياء، كما أنه يدعو إلى الأشياء والعالم معاً، وهو بذلك يدعو إلى الفرق بينهما، ولكنه يدعوه دعوة صامتة.

ويمكن القول بأن الدعوة الأولى إلى القرب بين الأشياء والعالم هي بمثابة نداء حقيقي، وهي دعوة تعبر عن ماهية حديث اللغة؛ "فاللغة تتحدث" حقاً، وما تدعو إله يأتيها من خارج الفرق إلى مجاله الداخلي حيث تستقر الأشياء في العالم، وبذلك يحرر "الفرق" الأشياء ليحقق كل منهما وجوده الخاص.

ويعني ذلك – كما يرى هايدجر – أن اللغة في أصلها النهائي هي حدوث للفرق الأنطولوجي بوصفه "لوجوس"؛ فاللغة تحدث بوصفها ذلك الفرق الموجود بين العالم والأشياء، أي أن "نداء الفرق" ليس صادراً من الإنسان، بل العكس هو الصحيح؛ فما هو إنساني يصبح كذلك عن طريق اللغة، ويتحقق له الحضور في ضوء حديث اللغة، ومع ذلك فإن هذا الحضور يحدث فقط بمقدار ما تحتاج ماهية اللغة إلى حديث الفانين من البشر(٣).

إذن المقطع الأول من القصيدة يدعو الأشياء في الحضور، والمقطع الثاني يدعو العالم للحضور حيث تكفل عالمية العالم حضور الأشياء؛ أما المقطع الثالث، والأخير فهو يدعو إلى حضور الصلة الحميمة بين العالم والأشياء، ولذلك يبدأ هذا المقطع على النحو التالي:

---

(1) Kockelmans, J.J.: "On the Truth…" P. 155.
(2) Heidegger, M.: "Die Sprache..", S. 22.
(3) Kockelans, J. J.: "On the Truth…" P. 155-157.

ويدلف المتجول إلى الداخل

والألم قد أحال البوابة إلى حجر

وهناك يسطع فوق المائدة

والخبز والنبيذ ناصعاً ونقياً

ولكن القصية لا توضح إلى أين يتجه النداء؛ بل تدعو المتجول إلى الصمت الذي يقف متربصاً عند البوابة، وفجأة يتحول النداء إلى "الألم" الذي حول البوابة إلى حجر، وهذا البيت – في رأي هايدجر – يتحدث عن موضوع القصيدة بأسرها؛ فهو يسمى "الألم" والقصيدة لا تفسر أي ألم هذا؟ ولا توضح إلى أي مدى يُنادَى على الألم؟

ويلاحظ هايدجر أن هذا البيت هو البيت الوحيد في القصيدة الذي صيغ في صورة الفعل الماضي: الألم قد "حول" البوابة إلى حجر، ومع ذلك فهو لا يتحدث عن شيء مضى ولم يعد حاضراً، وإنما يسمى شيئاً باقياً دوماً؛ ففي عملية التحول إلى حجر تبقى البوابة حاضرة، وعن طريق تلك البوابة يسري كل ما بالخارج إلى الداخل والعكس صحيح(١).

ولكن ما طبيعة الألم *Schmerz – Pain* في هذا المقطع؟ إنه بمثابة صدع *Riss – Rift* ولكنه لا يتفرق إلى شذرات، فهو يجذب كل شيء إليه ويجمعه من جديد؛ وهو العنصر الذي يحقق الانقسام والوحدة بين الأشياء. إنه هو "الوسيط" الذي يجمع بين الأشياء، أو هو الفارق ذاته(*):

والألم قد حول البوابة إلى حجر

هذا البيت يسمى "الفرق" ولكنه لا يدعو طبيعته بذكر اسمه؛ إنه بالأحرى يدعو الفرق الذي يقوم به الوسيط، كما يدعو الجمع بين الأشياء. وهو بذلك يعقد صلة حميمة بين العالم والأشياء، وينبغي ألا نظن أن هذا الألم إحساس أنثروبولوجي يجعلنا نشعر بالمعاناة أو العذاب، كما لا ينبغي أن نفكر في هذه الصلة من الناحية النفسية بوصفها تعبيراً عن حالة انفعالية:

وهناك يسطع فوق المائدة

الخبز والنبيذ ناصعاً نقياً

---

(1) Heidegger, M.: "Die Sprache…", S. 23-24.

(*) ".. Der Schmerz ist der Unter-Schied Selber". (Cp. Heidegger, M.: "Die Sprache..", S. 24.

أين يسطع الضوء النقي الخالص في هذين البيتين؟ إنه يسطح على البوابة في مستقر الألم، حيث يلمع بريقه ويتلألأ، ويحتوي في داخله على ضوء العالم وبريقه، وفي ذلك البريق يتحقق للخبز والنبيذ بريقهما الخاص .. إن الأشياء العظيمة تتلألأ في بساطة شيئيتها: فالخبز والنبيذ هما فاكهة السماء والأرض، وهما من هبات الإله والفانين، كما أنهما يحققا رباع العالم الفريد حين حصولهما على الشعور بالرضى والاكتفاء في تركها رباع العالم ليستقر معها.إذن المقطع الثالث من القصيدة يدعو العالم والأشياء إلى "الوسيط" الذي يجمع بينهما في صلة حميمة، وهذا الوسيط هو الألم(١).

ذهب هايدجر إلى أن "التسمية" التي تدعو إلى الصلة الحميمة بين العالم والأشياء للحضور هي التسمية الحقيقية(*)، وهذه التسمية ماهية الحديث التي تتضح من موضوع الحديث في القصيدة، إنه حديث اللغة. إذن اللغة تتحدث كما سبق أن بينَّا، وهي تتحدث بتسمية موضوع الحديث: الشيء – العالم(**)، والعالم – الشيء(***) تدعوهما للحضور في الفرق بينهما، وهذا الحضور يدعو العالم والأشياء من خارج الفرق إلى داخله.

إن الفرق يترك شيئية الشيء *das Dingen des Dinges – The thinging of the thing* لتستقر في عالمية العالم *Welten der Welt – Worlding of the World*، وهذا الفرق يستبعد الشيء ليستقر في رباع العالم، علماً بأن هذا الاستبعاد *expropriation* لا يلغي الشيء، وإنما يحقق وجوده الخاص(٢).

يرى هايدجر أن "الفرق" ليس تمييزاً ولا علاقة؛ إنه بالأحرى "بُعد" *Dimension-dimension* للعالم والأشياء، وفيه يستقر العالم والشيء، وهو "بُعد" بمقدار ما يصنع من مقاييس للعالم والشيء كل من زاويته، وهذا "المقياس" *Ermessen-allotment* يحقق الانفتاح بينهما، ويوجه كل منهما إلى الآخر، إذن "الفرق" وسيط بين العالم والأشياء يقيس حضورهما، وفي التسمية التي تنادي الشيء والعالم ما يُنادى، بحق إنما هو ذلك "الفرق"(٣).

أما عن الاستقرار الذي يحققه "الفرق" فهو يعني البقاء في الصمت – *die Stille – stillness*: فالفرق "يحقق السكينة للشيئ، كما أن الشيء يحققها للعالم.

---

(1) Ibid., S. 25.

(*) Das eigentliche Heissen – authentic bidding.

(**) Ding-Welt, Thing – World.

(***) Welt-Ding, World – Thing.

(2) Ibid., S. 26.

(3) Ibid., S. 23.

والفرق يحقق السكينة بطريقة مزودجة: عن طريق ترك الأشياء لتبقى في حضور العالم، وترك العالم ليكتفي بنفسه في الشيء[١].

وأما عن ماهية الصمت فيرى هايدجر أنه ليس مجرد انعدام الصوت *Lautlose-Soundless*، ففي انعدام الصوت يظل الافتقار إلى الحركة أو الصوت موجودًا، ولكن الصمت من حيث الماهية يصمت [*]، وفي هذه الحالة يرى هايدجر أنه يكون متحركاً ومضطرباً أكثر من أي شئ آخر[٢].

إن "الفرق" يحقق السكون أو الصمت بطريقتين: إنه يصمت في الأشياء من حيث شيئيتها، وفي العالم من حيث عالميته، وعندما يجمع "الفرق" كلاً من العالم والأشياء إلى ما بينهما من صلة حميمة، فهو يدعوهما إلى الحضور لماهيتهما الخاصة.

ومن ناحية أخرى فإن "الفرق" هو "التسمية"، وتسمية الفرق تجمع كل منادى إلى داخل نطاقها، واللغة تتحدث لأن تسمية "الفرق" تنادي العالم والأشياء إلى ما يجمعهما من صلة حميمة.

واللغة بوصفها "رنين الصمت"[**] هي التي يحدث فيها "الفرق" بين العالم والأشياء، وعلماً بأن هذا "الرنين" ليس إنسانياً بل العكس هو الصحيح؛ فالإنسان من حيث ماهيته "معطى ذو طبيعة لغوية" *sprachlich-linguistic*، وكلمة لغوي في هذا السياق تعني الحدوث من جراء كلام اللغة، وما يحدث أو الموجود الإنساني يتم حضوره إلى ذاته عن طريق اللغة؛ وفي هذا الحدوث الذي يتم في حضور الصمت تحتاج اللغة إلى حديث الفانين أو البشر المنصتين إلى حديثها.

وبقدر ما ينتمي الفانون إلى "نداء الصمت"، يصبحون قادرين على الحديث بطريقة متميزة من خلال الحديث. وبذلك يصبح حديث الفانين نداء يدعو العالم والأشياء إلى الحضور[٣].

يرى هايدجر أن التسمية الحقيقية في حديث الفانين هي بمثابة موضوع الحديث في القصيدة، وأن الشعر الحقيقي[***] يختلف عن الأسلوب الذي تستخدمه اللغة في الحياة

---

(1) Ibid., S. 26.

(*) "… Die Ruhe aber hat ihr Wesen darin, dass site stillt".

(2) Ibid., S. 26.

(**) das Gelaut der Stille – The Peal of Stilleness.

(3) Ibid., S. 28.

(***) ذهب هايدجر إلى أن النثر الحقيقي ليس نثراً قط؛ إنه شعري dichterisch – Poetic، وهو من ثم نادر ندرة الشعر Poesie – Poetry.

اليومية؛ بل إن اللغة اليومية لغة منسية، وكذلك الكلام اليومي *das alltagliche Reden*، يصبح مستهلكاً إلى حدث يصعب معه أن يصدر عنه أي نداء(١).

وإذا اعتبرنا أن الكلام الإنساني هو الصوت *Verlautbarung-Voicing* الصادر من باطن الإنسان، فإن ماهية اللغة ليست إلا تعبيراً أو نشاطاً إنسانياً. ولكن كيف ينكسر الصمت في الحديث أو حتى في الكتابة؟ وكيف يمكن أن نعبر عن هذا الصمت في كلمات؟ وكيف يشكل حديث الفانين، ونستمع إليه في أبيات من الشعر أو في عبارات من اللغة؟

إذا نجح "التفكير" يوماً ما في الإجابة عن هذه التساؤلات، فعلينا أن ننظر إلى "التعبير" *der Ausdruck – expression* وحده بوصفه العنصر الحاسم في الحديث الإنساني، كما ينبغي علينا أن ندرك أن الفانين يتحدثون بمقدار ما ينصتون(*)، وهم في ذلك يلتفتون إلى نداء الصمت "الفرق"، وإنصاتهم ينبعث من تسمية هذا الفرق.

يرى هايدجر أيضاً أن "الفانين" يتحدثون عن طريق "الاستجابة" للغة بطريقة مزدوجة: التلقي *Enthnehmen -Receiving*، والإجابة *Entsprechen – Replying*، بناءً على أن كل إنصات حقيقي *das echte Hören authentic hearing*، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقول الحقيقي(٢).

---

(1) Ibid., S. 28.

(*) "Die Sterblichen sprechen, insofern sie hören – Morals speak insofar as they listen".

(2) Ibid., S. 29.

خاتمة البحث:

نحاول في خاتمة البحث الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التي سبق أن طرحناها في المقدمة وهي كما يلي:

س١: كيف أحدث هايدجر ثورة كوبرنيقية في تفسيره للأصل الأنطولوجي للغة؟

س٢: ما معنى الدخول في تجربة مع اللغة عند هايدجر؟

س٣: كيف تتحدث اللغة في قصيدة "تراكل" من وجهة نظر هايدجر؟

أما عن السؤال الأول فيمكن الإجابة عنه في ضوء ما يلي من نتائج:

أولاً: أصبح الموجود الإنساني "الجهة" التي تتحدث إليها اللغة، ولم تعد اللغة مجرد أداة، وأصبح حديث الإنسان مجرد رد فعل لحديث اللغة، ويفترض ذلك ضمناً إنصاته إلى لغة الوجود.

ثانياً: أصبحت اللغة – في فكر هايدجر المتطور – الوجود ذاته في صورة كلمات، وأصبح حديث الإنسان الحقيقي "استجابة" لصوت الوجود الصامت، مما يعني أن الإنسان يكتشف ذاته فقط من خلال اللغة، ويصل إلى الحقيقة فقط عندما يتوجه "منصتاً ومتحدثاً" نحو قول الوجود.

ثالثاً: أصبحت "اللغة بيت الوجود"، بمعنى أن اللغة تكشف عن الوجود ذاته، وبمقدار ما يتم التعبير عن الوجود، تصبح اللغة لغة الوجود كما أن السحب سحب السماء.

رابعاً: أصبح "الوجود" لغة اللوجوس في ضوء ما يحققه من انفتاح للموجودات، واللوجوس يمدنا بالأساس اللازم للإستخدام الحقيقي للكلمات، وهو ما يدركه المفكرون والشعراء بحق؛ فاللوجوس هو القول الأصلي للوجود: والكلام الحقيقي استجابة لهذا القول.

خامساً: أصبح الشعر عند هايدجر النشاط الذي يخلق، ويشكل، ويتحقق على صورة كشف أنطولوجي، وهو النشاط الذي يؤسس الحقيقة، واللغة الحقيقية أو (الشعر) هي التي تحقق للموجودات الحضور في انفتاح الحقيقة، وقصيدة "تراكل"

وأما عن السؤال الثاني: ما معنى الدخول في تجربة مع اللغة من وجهة نظر هايدجر؟ فيمكن الإجابة عنه في ضوء ما أحدثه هايدجر أيضاً من ثورة في قلبه لعلاقة الإنسان باللغة رأساً على عقب؛ فالإنسان لا يكون إنساناً إلا عندما ينصت إلى نداء اللغة؛ فاللغة هي الأصل، والإنسان "ملقى به" في رحابها، وتجربة اللغة ليست من صنع الإنسان، وهو يخضع لها، ويتقبلها، ويتحملها عند حدوثها، فإذا ما عثر على طريقه إليها، تكونت لديه تجربة أصلية مع اللغة تمس صميم وجوده.

ويترتب على ذلك ما يلي من نتائج:

أولاً: "الدخول في تجربة مع اللغة" معناه الانتباه إلى علاقة الإنسان باللغة، وتأمل سكنه فيها، "فاللغة تتحدث. وحديثها حضور للموجودات، كما يعني الإنصات إلى حديث اللغة، أن نترك ما تقوله يتحدث بنفسه إلينا وفقاً لأسلوب وجودنا المنفتح على حديث اللغة.

ثانياً: "الدخول في تجربة مع اللغة" معناه أن "ماهية اللغة هي لغة الماهية"؛ أي أن أصل اللغة يفيد الحفاظ والعطاء، ويتصل بصميم وجودنا، ويحركه، وينتمي إلى الماهية التي تحرك وتمنح، إذن ماهية اللغة ترتبط بالقول الأصلي بوصفه إيضاحًا وكشفاً.

ثالثاً: "الدخول في تجربة مع اللغة" معناه أيضاً إدراك العلاقة بين الشعر والتفكير. على اعتبار أن الشاعر هو حارس الكلمة ومدبرها. إن الشعر والتفكير يحتاج كل منهما إلى الآخر كي يتأسس الوجود، ويمثل كل منهما طريقة في القول الأصلي: المفكر يتحدث عن الوجود، والشاعر يسمى المقدس؛ فالشعر انفتاح للموجود، وهذا الانفتاح يحمل معاني البدء، والتأسيس، والهبة.

وأما عن السؤال الثالث: كيف تتحدث اللغة في قصيدة "تراكل"؟ فيمكن الإجابة عنه في ضوء ما يلي من نتائج:

أولاً: القصيدة توضح كيف تترك اللغة العالم ليكون موجوداً؛ والمقطع الأول منها يدعو "الأشياء" إلى الحضور، والمقطع الثاني يدعو "العالم" إلى الحضور، أما المقطع الثالث فيتناول "الفرق" بين العالم والأشياء، ويحدث هذا الفرق عن طريق الوجود بوصفه قولاً.

ثانياً: "التسمية" في القصيدة "نداء" والنداء بقرب "المنادَى، ويحقق الحضور للموجودات كي تصبح أكثر قرباً بعد أن كانت محتجبة في الغياب، كما أن التسمية "دعوة" للأشياء كي يتحقق لها الحضور في العالم، وهي دعوة لعدد كبير من البشر" المعبر عن "الفانين" في القصيدة، ويتضح من هذه الدعوة أن التسمية الحقيقية في حديث الفانين هي موضوع الحديث في القصيدة.

ثالثاً: لغة القصيدة تتحدث عن تفاعل رباع العالم: الأرض – السماء – الفانين – الخالدين، وفي هذا التفاعل يصبح "القرب والقول" كشفاً عن الموجودات. فاللغة هي سيدة العلاقات، وكاشفة الوجود، وعلى الإنسان السكن في بيتها ليحرسه ويرعاه.

رابعاً: لغة القصيدة في أصلها النهائي حدوث "للفرق الأنطولوجي" بين العالم والأشياء بوصفه "لوجوس"، علماً بأن نداء الفرق ليس إنسانياً، وما هو إنساني يتحقق له الحضور من خلال حديث اللغة؛ علماً بأن "الفرق" يستبعد الشيء ليستقر في رباع العالم، وهذا الاستبعاد لا يلغي الشيء، وإنما يحقق وجوده الخاص.

خامساً: "الفرق" في القصيدة "بُعد" للعالم والأشياء، وهذا البعد يحقق الانفتاح بينهما، ويوجه كل منهما إلى الآخر، كما يحقق السكينة والصمت لكل من العالم والأشياء. والفانون (أو البشر) في لغة القصيدة يتحدثون من خلال الاستجابة المزدوجة للغة المتمثلة في "التلقي"، و"الإجابة".

سادساً: "الألم" في المقطع الأخير من القصيدة يجذب كل شيء ويجمعه من جديد، ويحقق الوحدة والانفصال بين الأشياء؛ إنه "الفرق" ذاته الذي يعقد صلة حميمة بين العالم والأشياء أو بين الوجود والموجود وفقاً لتعبير هايدجر.

قائمة بأهم المصادر والمراجع:

أولاً: مصادر ألمانية:

- Heidegger, M.: ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache)., Vittorio Klostermann, Frankfurt am Main, Gesamtausgabe, Band 12, Germany, 1985.

ثانياً: مصادر أجنبية مترجمة:

- Heidegger, M.: "Poetry – Language – Thought", trans by A. Hofstadter, Harper & Row Publishers, New York, U.S.A., 1975.

ثالثاً: مراجع أجنبية:

- Halliburton, D.: "Poetic Thinking – An Approach to Heidegger" The Uni. Of Chicago Press Ltd., London, 1981.
- Kockelmans, J. J.: "On the Truth of Being-Reflections On Heidegger's Later Philosophy", Indiana University Press, Bloomington, U.S.A., 1984.
- Langan, T.: "The Meaning of Heidegger-A Critical Study of an Existentialist Phenomenology" Routledge & Kegan Paul, London, 1959.
- Richardson, W.J.: "Heidegger, Through Phenomenology to Thought", Preface by M. Heidegger, Martinus Nijhoff, The Hague, Netherlands, 1963.
- Sokel, W. : "The Writer in Extremes in 20th Century German Literature, Stanford Uni. Press, California, U.S.A, 1968.
- Winfried, F.: "M. Heidegger", J. B Metzlersche Verlagsbuchhandlung, Germany, 1970.

رابعاً: موسوعات ألمانية:

- Enzyklopadie: Weltliterature im 20 Johrhundert, Vol. 4, herausgeg. Von Prauneck M., Rowohlt, Germany, Juni, 1981.

خامساً: مراجع عربية مترجمة:

- مارتن هايدجر: "ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر"، ترجمة فؤاد كامل، ومحمود رجب، ومراجعة عبد الرحمن بدوي، سلسلة نصوص فلسفية، دار الثقافة، للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤م.
- .....: "نداء الحقيقة"، ترجمة وتقديم ودراسة عبد الغفار مكاوي، سلسلة نصوص فلسفية (٩)، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧م.

سادساً: مراجع عربية:

- عثمان أمين: في "الفلسفة والشعر"، مكتبة نفائس الفلسفة الغربية، الدار القومية للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ١٩٦٣م.

ثبت بأهم المصطلحات الواردة في البحث:

(A)

المصطلح بالعربية	المصطلح بالإنجليزية	المصطلح بالألمانية
الكلام اليومي	Every day discourse	(das) alltägliche Reden
الغياب	Absence	Abwesen
الحضور	Presence	Anwesen
التعبير	Expression	Ausdruck

(D)

نظم الشعر	Poetry	Dichtung
الشاعر	Poet	Dishter
البعد	Dimension	Dimension
الأشياء	Things	Dinge
شيئية الأشياء	The thinging of the thing	(das) dingen des Dinges

(E)

الإنصات الحقيقي	Authentic hearing	(das) Echte Hören
التسمية الحقيقية	Authentic bidding	(das) eigentliche Heissen
الاستبعاد	Expropriation	(das) Enteignis
التلقي	Receiving	(das) Entnehmen
التصميم	Resoluteness	(die) Etschlossenheit
الإجابة	Replying	Entsprechen
الأرض	Earth	Erde
معيار أو مقياس	Allotment	Ermessen

(das) Ereignis	Appropriation	الحادث
	(G)	
Dedicht	Poem	القصيدة الشعرية
(das) Gelaut der Stille	The peal of stillness	رنين الصمت
(das) Geviert	The fourfold, The quadrate, The foursome	الرباع
(Das) Göttliche	The divine	الخالدون (رسل الربوبية)
	(H)	
(Das) Heilige	The holy	المقدس
(das) Heissen	the bidding	التسمية
(das) Herrufen	The calling	النداء
	(L)	
Lautlose	Soundless	انعدام الصوت (بلا صوت)
Logos	Logos	اللوجوس (الكلمة – القول.)
	(N)	
(das) Nennen	The naming	التسمية
	(O)	
Ontologische	Ontological	الفرق الأنطولوجي
Differenz	Difference	(بين الوجود والموجود)
	(R)	
Rede	Discourse, speech	الكلام
Rein Gesprochenes	Purely spoken	موضوع الحديث الخالص
Riss	Rift	صدع (شق)

(S)

Sagen	Saying, utterance	القول
Sprache	Language	اللغة
(die) Sprache spricht	Language speaks	اللغة تتحدث
Sprachlich	Linguistic	لغوي (ذو طبيعة لغوية)
(die) Sterblichen	Mortals	الفانون (البشر)
(die) Stille	Stillness	الصمت

(U)

Unter – Schied	dif-ference	الفرق (بين العالم والأشياء) (أو بين الوجود والموجود)
Ursage	Primordial Saying	القول الأصلي

(V)

Verlautbarun	Vibrating	إصدار الصوت

(W)

Welt	World	العالم
Welten der Welt	Worlding of the world	عالمية العالم
Wesen	Essence	الماهية
(das) Wesen der Sprache	Essence of language	ماهية اللغة